(٤٤)

باب من سب الدهر فقد آذى الله

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب من سب الدهر فقد آذى الله.

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]. **في الصحيح: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار»** (١) **وفي رواية: «لا تسبوا الدهر، فإنَّ الله هو الدهر»** (٢)).

ش: قال العماد ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤] ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة.

وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة.

وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية (٣)، المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] **أي يتوهمون ويتخيلون.**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] الآية، حديث (٤٨٢٦)، ومسلم، كتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر، حديث (٢٢٤٦)، وأبو داود، حديث (٥٢٧٤)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٧)، حديث (١١٤٨٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٨)، حديث (٧٢٤٤).

(٢) أخرجه مسلم، الكتاب والباب السابقين، طرف حديث (٢٢٤٦).

(٣) كان أهل الجاهلية يُضِيفون المصائب والنوائب إلى الدهر وهم في ذلك فرقتان: (فرقة) لا تؤمن بالله، لا تعرف إلا الدهر الذي هو مر الزمان واختلاف الليل والنهار اللذين هما محل الحوادث وظرف لمساقط الأقدار فتنسب المكاره إليه على أنها من فعله، ولا ترى أن له مدبرًا ومصرفًا. وهؤلاء الدهرية الذين حكى الله عنهم في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] و(فرقة) تعرف الخالق فتنزهه أن تنسب إليه المكاره فتضيفها إلى الدهر والزمان ولذلك كانوا يسبون الدهر ويذمونه، فيقول القائل منهم: يا خيبة الدهر، ويا بؤس الدهر إلى ما أشبه هذا من قولهم. انظر الغريب للخطابي (١/ ٤٨٩).

فأما الحديث الذي أخرجه صاحب الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»** وفي رواية: **«لا تسبوا الدهر فإنَّ الله هو الدهر»** وفي رواية: **«لا يقل ابن آدم: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما»** [١].

قال في شرح السنة: حديث متفق على صحته أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة قال: ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجع سبها إلى الله عزوجل، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصنعونها فنهوا عن سب الدهر. انتهى باختصار.

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدًّا بهذا الطريق. قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله في كتابه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. ويسبون الدهر. فقال الله عز وجل: **«يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»**، وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله.

ثم روى: عن يونس عن ابن وهب [٢] عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يقول الله تعالى: يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار»** [٣] وأخرجه صاحب الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به.

وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«يقول الله عز وجل: استقرضت عبدي فلم يعطني، وسبني عبدي،**

---

(١) أخرجه مسلم، الكتاب والباب السابقين، طرف حديث (٢٢٤٦).

(٢) كذا في النسخ، والذي في مسلم والنسائي: «عن ابن وهب عن يونس»

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٥٢). وهو في البخاري، كتاب: الأدب، باب: لا تسبوا الدهر، حديث (٦١٨١)، ومسلم، كتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر، حديث (٢٢٤٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٧)، برقم (١١٤٨٦) وفيهما: من طريق ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب الزهري به.

يقول: وا دهراه، وأنا الدهر»[١].

قال الشافعي وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا: يا خيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى. فكأنما إنما سبوا الله سبحانه، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ما قيل في تفسيره - وهو المراد - والله أعلم.

وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذًا من هذا الحديث. انتهى.

وقد تبين معناه في الحديث بقوله: «أقلب الليل والنهار» وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه.

وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف رحمه الله تعالى، وهي قوله: «بيدي الأمر».

قوله: وفي رواية: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر».

ومعنى هذه الرواية: هو ما صرح به في الحديث من قوله: «وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار» يعني: أن ما يجري فيه من خير وشر بإرادة الله وتدبيره، بعلم منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره. ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين وحسن الظن به سبحانه وبحمده، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة. كما قال الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة، كما في أشعار المولدين، كابن المعتز والمتنبي وغيرهما.

وليس منه وصف السنين بالشدة ونحو ذلك لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: ٤٨].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٠)، حديث (٧٩٧٥)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٥٣)، حديث (٦٤٦٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١١٣)، حديث (٢٤٧٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧٩)، حديث (١٥٢٦)، وهو صحيح لغيره، وانظر صحيح الترغيب (٢٨٠٤)، الصحيحة (٣٤٧٧).

وقال بعض الشعراء:

إن الليالي من الزمان مهولة ... تُطوَى وتُنشر بينها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

وقال أبو تمام:

أعوام وصل كاد يُنسى طيبها ... ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أعقبت ... نحوى أسًى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام